الفرجة

هناء كرم

أتفرج على المشاهد من خلال شاشة التلفزيون وأفكر بفعل تفرَّج.
تفرجَ أي نظر الى الشيء ولم يتدخل، ولم يشترك ولم يقل ولم يعبّر عن رأيه ولم ولم ....الخ

أتفرج لكنني أنفعل، تختلج مشاعري ويتصبب الدم في عروقي حامياً ويتسارع ليُخرج حمائم غضب واستياء ولا أكثر.
مشاهد لا تجد كلمات لوصفها ولا مشاعر لتتحملها .. يا لهذه الحرب القاتلة ، يا لهذه الآلة اللعينة ، يا لهؤلاء .....

وأُحسُّني أدخل وراء شاشة التلفزيون فأنا قد شبعت من التفرج، أريد أن أحاول الولوج، كرهتُني وأنا أبدو كمثل هذه الحكومات المنتشرة ، أردت أن أكون واحداً من الداخل.

سمعته يقول واحدهما للآخر: لا تمسك الفتاة هكذا وتفسح المجال للمصورين لتصويرها فعندما سيراها والدها سيغضب منك، صحيح أنها لا تتعدى السابعة ولا يهم لو انكشفت على الأغراب لأنها طفلة لكن والدها لن يقبل بالتأكيد تصويرها في هذا المنظر ، صحيح أنها تعكس صورة واضحة عن همجية الهجوم وهمجية القتال وهمجية القصف.
خاصة شعرها الطويل الحريري الذي نكشته قطع الحجارة التي تداعت على الرأس الطري، وجلدها الحريري الذي تمزق وتخدش من هرس قطع الباطون المتراكم على جسدها.
عيناها الجميلتان المغلقتان على المأساة وشفتاها المجرحتان الصامتتان الا عن ابتسامة كانت قد ارتسمت قبل وقوع الدمار.
لا تصورها ولا تؤذي مشاعر أهلها.
أجابه الثاني بنفس الكآبة والاحباط التي جعلته يحملها من الأساس، ويدعو المصورين لتصويرها : أهلها ؟ أين أهلها؟ يا صديقي .
تعال هل تريد مشاهدة أهلها ؟

إن كنت لا تصدقني تعال لتتفرج واطمئن لن يستطيعوا مشاهدتها ولن يتمكنوا أن يغضبوا مني.

قد يشكروني لأني على الأقل أدعو من خلالهم العالم لمشاهدة هذه المجزرة.
أدعوهم لرؤية ما تفتعل أيديهم وآلة حربهم.

هل تريد أن ترى أخاها المقسوم قسمين، هل تريد أن ترى قدم أختها التي وجدناها في مكان غير المكان.
هل تريد أن ترى يد أخيها التي كانت تعانق رقبة أمه وأمها ووجدناهما منفصلين عن باقي الأجزاء؟
حينها ستفهم أنني أحضرت الفتاة للتصوير لأنها الوحيدة التي انتشلنا جثتها قطعة واحدة نعم الوحيدة.
هل تريد أن تتفرج عليهم؟ كما يتفرج العالم كله، الفرجة هي كل ما يجري، نعم الفرجة فقط الفرجة.
الفرجة هي كل ما يفعله الجميع..
ووجدْتُني أسرع خارجاً من الشاشة الى مكاني على الكرسي وقد أقعدني المشهد وأخرس كلماتي وجفف دموع عيني.

نعم الفرجة هي كل ما نفعل.

هناء كرم
30 -7- 06